المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين ..... أما بعد

فقد انزل الله سبحانه وتعالى القرآن على قلب نبيه صلى الله عليه وسلم، ودعا فيه الناس إلى توحيده وإخلاص العبودية له والخضوع لحكمه،ومن بين الذين وجه إليهم دعوته ليتبعوه هم أهل الكتاب – اليهود والنصارى – فقد اتخذ الوسائل العديدة في خطابهم من اجل صرفهم عن الشرك وإرشادهم للإسلام.

جاءت هذه الدراسة . منهج القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب للإسلام من خلال سورة آل عمران . لبيان بعض الوسائل التي انتهجها القرآن لحمل أهل الكتاب للدخول في الإسلام،وصرفهم عن الكفر والعصيان.

تضمنت خطة البحث مقدمة وثلاثة مباحث.

تناولت في المبحث الأول: تعريف أهم المصطلحات التي تطلق على اليهود والنصارى على وجه الخصوص أو الاشتراك.

وتناولت في المبحث الثاني بعض أساليب الترغيب في السورة.

وتناولت في المبحث الثالث بعض أساليب الترهيب في السورة.

وختاما اسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأرجو أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة، فان كان كذلك فلله الحمد والمنة، وان كانت الأخرى فحسبي أنني اجتهدت ..... والله ولي التوفيق.

المبحث الأول: التعريف بالمصطلحات

لقد خاطب القران الكريم اليهود والنصارى في كثير من المواضع لأجل دعوتهم للإسلام وسماهم بتسميات متعددة، وسنأخذ في هذا المبحث بعض هذه الأسماء كي نتعرف على معانيها.

١. أهل الكتاب:

الأهل لغة: أَهْلُ الرَجل: زوجهُ، وأخصّ الناس به، وأهل البيت: سكانه، وأهلُ الإسلام: من يدين به ومن هذا يقال: فلان أهل كذا أو كذا[١].

والكتاب في الأصل مصدر ثم سمى المكتوب فيه كتاباً، والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيه وفي قوله: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[٢] فإنه يعنى صحيفة فيها كتابة، ويعبر بالكتاب عن الحجة الثابتة من الله عز وجل نحو قوله[٣]: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾[٤].

فإذا جمع هذان المصطلحان (أهل الكتاب) يصبحان مختصين باليهود والنصارى باتفاق المتكلمين وعلماء التفسير[٥] وجمهور الفقهاء[٦].

١-ينظر العين،الخليل بن أحمد الفراهيدي: ٨٩/٤.
٢-سورة النساء: (١٥٣).
٣-ينظر معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني : ٤٧٤.
٤-آل عمران: ٢٠
٥-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي : ٩ / ٣٩.
٦-الموسوعة الفقهية الكويتية: ١٤٠/٧.

ذهب الحنفية إلى أن الكتابي من يؤمن بنبي ويقرب كتاب، وكذلك اليهود السامرة ومن آمن بزبور داود وصحف إبراهيم وشيت عليهم الصلاة والسلام فهم أهلال كتاب[١].

وتوسع ابن حزم حتى قال: هم اليهود والنصارى والمجوس[٢].

وقد ذكرت هذه اللفظة في القرآن الكريم في إحدى وثلاثين[٣] موضعاً بدلالات مختلفة فمرة يقصد بها اليهود والنصارى كقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[٤]وهم اهل الكتابين[٥]ومرة يراد بها أحدهما كما في قوله:﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ ﴾[٦]وهم اليهود[٧]وقوله :﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ﴾[٨]وهم النصارى[٩].

٢. **اليهود** :

١-ينظر شرح فتح القدير، محمد بن عبد الواحد السيواسي: ٣ / ٢٢٩.
٢-ينظر القاموس الفقهي، د. سعدي أبو جيب :٣١٦/١.
٣-ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي: ١١٧-١١٨.
٤-سورة المائدة(١٥).
٥-معالم التنزيل، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: ٣٢/٣.
٦-سورة النساء (١٥٣).
٧-ينظر جامع البيان:٣٥٦/٩.
٨-سورة المائدة (٧٧).
٩-ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري:٩ / ٤١٥.

الهَوْدُ : التَّوْبَةُ والرُّجوعُ إلى الحَق، هادَيَ هُودُ هَوْداً، وتَهَوَّدَ، فهو هائِدٌ، والهُودُ بالضَّمْ : اليَهُودُ وجمْع اليَهُودِ يّيَهودٌ، وهَوَّدَه تَهوِيداً: حَوَّلَه إلى مِلَّةِ يَهُودَ ، وتَهَوَّدَ الرجُلُ: صارَ يَهُودِيًّا[١].

هم في الأصل: ((أتباع موسى عليه السلام الذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم))[٢].

وفي النص إشارة إلى أن اليهود هم أتباع موسى عليه السلام قبل أن يحرفوا ويغيروا أحكام التوراة أما اليوم فاليهود هم أصحاب الديانة المنحرفة عن الذي بعث به الله عز وجل سيدنا موسى عليه السلام من الدين الحق وهو الإسلام.

وقد اختلف العلماء في سبب تسميتهم باليهود :

إنهم سموا حين تابوا من عبادة العجل وقالوا﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾[٣] أي تبنا ورجعنا، ومنها قراءة أبو وجزة السعدي[٤] هِدنا بكسر الهاء[٥] من هاد يهيد إذا حرك أي حرّكنا حرّكنا أنفسنا وجذبناها لطاعتك فيكون الضمير فاعلاً، ويحتمل أن يكون مفعولاً لم يسمَّ فاعله أي حركنا إليك وأملنا، والضم فيهُدنا يحتملهما، وكذلك قوله:﴿ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾[٦] أي تابوا[٧].

١- ينظر المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد:٤ / ٤٧ ، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد حماد الجوهري : ٣ /٢٧٦ ، وتاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد الحسيني الزَّبيدي:٣٥٢/٩-٣٥٥.

٢-تفسير القرآن العظيم،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: ٢٨٥/١.

٣-سورة الأعراف (١٥٦) .

٤- هو المقرئ يزيد بن عبيد من متقنى أهل المدينة. ينظر مشاهير علماء الأمصار، محمد بن حبان:٧٨.

٥-ينظر مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه، عني بنشره : ج. برجستراسر :٤٦.

٦-سورة البقرة: (٦٢).

٧- ينظر جامع البيان: ١٢٦/٢٨ ، وتفسير البحر المحيط العلامة أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي: ٤٠٠/٤.

أو لأنّهم هادوا أي مالوا عن الإسلام وعن دين موسى عليه السلام، يُقال : هاد يهود هوداً : إذا مال وقرأ أبو السمّال[١]قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾[٢]بفتح الدال في هادَوا[٣] من المهاداة، أي مال بعضهم إلى بعض في دينهم، أو لأنّهم يتهوّدون أي يتحرّ كون عند قراءة التوراة، ويقولون : إنّ السماوات والأرض تحرّكت حين أتى الله موسى التوراة[٤].

أو لأنهم نسبوا إلى يهوذا احد أبناء يعقوب عليه السلام وهو أكبر أولاده،ثم عربته العرب إلى يهودي[٥].

و ذكر القرآن هذا الاسم في كثير من آياته خاصة في بيان كفرهم وادعاءاتهم الباطلة إظهاراً لخزيهم وفضائحهم وتحذيراً من مكائدهم وشرورهم، حيث ذكرت هذه اللفظة في القران الكريم تسع مرات.

ومن تلك الآيات على سبيل التمثيل قوله تعالى:﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[٦]

١- المقرئ قعنب بن هلال العدوى أبو السمّال، ينظر لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: ٤/٤٧٥.
٢- سورة البقرة: (٦٢).
٣- ينظر مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه : ٦.
٤- ينظر الكشف والبيان، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري : ١/ ٢٠٨.
٥- ينظر مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر المعروف بالفخرالرازي : ٣ /٩٧.
٦- سورة المائدة: (٨٢).

٣. النصارى:

النصارى : جمع نصران، كالندامى جمع ندمان،أو جمع نصري، كمهري ومهارى، والنصرانية والنصرانة: واحدة النصارى، والنصرانية: دينهم،ويقال: نصراني وأنصار، وتنصر: دخل في دينهم، ونصره تنصيراً: جعله نصرانياً[١].

واختلفوا في سبب تسميتهم بهذا الاسم، فقال الراغب : سمّوا نصارى لأنّ الحواريّين قالوا[٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ ﴾[٣].

أو لأنّهم نزلوا قرية بالشام يُقال لها نصران وناصرة،فنُسبوا إليها،أو لنصرتهم عيسى عليه السلام في أول الأمر[٤].

وقد ورد ذكر هذا اللفظ في القران الكريم مع مشتقاته خمس عشرة مرة، ومنها قوله:﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨ ﴾[٥]

---

[١]- ينظر كتاب العين : ١٠٩/٧. والقاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي : ١٤٨/٢.
[٢]- ينظر معجم مفردات ألفاظ القران: ٥٥٠.
[٣]-سورة الصف: (١٤).
٤-ينظر الزاهر فى معانى كلمات الناس، محمد بن القاسم الأنباري: ١٧٥/٢.
[٥]- سورة المائدة: (١٨).

٤. بنو إسرائيل:

بني : الابن جمعه أبناء وسمي بذلك لكونه بناء للأب فان الأب هو الذي بناه وجعله الله بَنَّاءً في إيجاده، ويقال لكل ما يحصل من جهةِ شيءٍ أو تربيته هو ابنه، ويقال في مؤنثه ابنة وبنت والجمع بنات[١].

وإسرائيل هو: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وهو لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله أو عبد الله، فإسرا هو: العبد أو الصفوة، وإيل هو: الله بالعبرية، وهو غير منصرف لوجود العلمية والعجمة[٢] وقد ذكر هذا الاسم مرة واحدة في القران فقال عز وجل: ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[٣].

أما إذا جمعا فيقصد بهما أولاد يعقوب عليه السلام،فقد ذكرت في أربعين موضعاً في القران في مقام الترغيب والترهيب وذلك لأن الحسنة في نفسها حسنة وهي من بيت النبوة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة وهي من بيت النبوة أسوأ، ففي هذا النداء خير داع لذوي الفطر السليمة منهم إلى الإقبال على ما يَرِدُ بعده من التذكير بالنعمة[٤] ومن ذلك قوله تعالى :﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾[٥].

---

[١]- ينظر معجم مفردات ألفاظ القران : ٧٤.
[٢]- ينظر تفسير النسفى، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي : ٨٥/١.
[٣]- سورة آل عمران : (٩٣).
[٤]- ينظر تفسير الوسيط،محمد سيد طنطاوي :٦٦.
[٥]- سورة البقرة: (٤٠).

٥. العبرانيون

العِبْر :بكسر أوله وسكون ثانيه ثم راء وهو في الأصل جانب النهر، وفلان في ذلك العِبر: أي في ذلك الجانب، وعِبرُ النهر أي شطه، والعبرانية لغة اليهود[١].

أما سبب تسميتهم بهذا الاسم فقد تباينت أراء العلماء في ذلك :

ذكر الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين عبر النهر فاراً من النمرود عند خروجه من النار وكان النمرود قد أرسل في طلبه رجالاً وقال لهم لا تدعوا أحداً يتكلم بالسريانية إلا جئتموني به فلما أدركوه حول الله نطقه فتكلم العبرانية فتركوه ولم يعرفوا لغته[٢].

وقيل إن أول من تكلم بالعبرانية إبراهيم الخليل عليه السلام بعد أن خرج من قريته

في إقليم بابل وصار إلى حران من أرض الجزيرة وعبر الفرات فيمن كان معه إلى الشام فتكلم بها فسميت العبرانية لحدوثها عند عبوره [٣].

أو أن أول من تكلم بالعبرانية موسى عليه السلام وبنو إسرائيل حين عبروا البحر وأغرق الله فرعون فسموا العبرانيين لعبورهم البحر [٤].

وذكر الشيخ محمد طنطاوي إنما سموا بالعبرانيين نسبة إلى الجد الخامس لإبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي كان اسمه عِبر(١).

١- ينظر العين :١٢٩/٢-١٣٠ ،ومعجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي: ٧٨/٤ ،المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية : ٤٠٤.
٢- ينظر تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري : ١ / ١٨٥ ، واللباب في علوم الكتاب،عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي : ٨ / ٢٥٠-٢٥١.
٣-ينظر التنبيه والإشراف، العلامة المؤرخ علي بن الحسين المسعودي:٦٩ ، والنكت والعيون، علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري : ٣ / ٥٤.
٤- ينظر معجم البلدان: ٧٨/٤.

وهو مصطلح يدل على معان كثيرة تصل أحيانا إلى التناقض، فهو ذو دلالات عرقْية وطبقية وحضارية، والعبرانيون كتلة بشرية سديمية ضخمة يعود أصلها إلى الجزيرة العربية، استقرت في منطقة الهلال الخصيب وفلسطين في أوقات متفرقة، والكلمة في معناها العام تضم كل القبائل السامية التي تناسلت من صفوفها الشعوب المختلفة التي انتشرت في كنعان وسوريا وبلاد الرافدين، ومن بينها تلك القبيلة التي جاء منها سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ونسله[٢].

وهذه التسمية التي بهذه المعاني لم يستعملها القران الكريم.

المبحث الثاني : أسلوب الترغيب

١-ينظر بنو إسرائيل في القران والسنة ، الدكتور محمد سيد طنطاوي: ٩.
٢-ينظر موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية،د.عبد الوهاب المسيري: ١٠/ ٢٩٢.

من بين الأساليب والوسائل التي انتهجها القرآن في دعوته لأهل الكتاب أسلوب الترغيب بالموعظة الحسنة وبهذا الأسلوب الذي فيه الترغيب يحرك قلوبهم ويثير مشاعرهم وتسكن أفئدتهم وتهيئ أنفسهم للاقتناع أو الاقتراب من هذا الدين إلى حد كبير، وهو المنهج الذي رسمه للدعوة وأمرنا بالعمل به، فقال:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[1]فمن الموعظة الحسنة:

أولاً : التلطف واللين في ترغيبهم للدخول في الإسلام .

خاطب القرآن الكريم في مواضع كثيرة أهل الكتاب باللطف واللين والحكمة والموعظة الحسنة ترغباً لهم في الإسلام واتباع نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فهم يعرفون انه نبي كما يعرفون أبناءهم فاخبر بذلك القرآن فقال:﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[2].

واستعمل كثيراً من وسائل الترغيب التي من شانها أن تجعلهم يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً ومن بين هذه الوسائل والمرغبات ما جاء في قوله عز وجل ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[3]

فقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم بأسلوب فيه الإنصاف والمؤانسة لهم لأنه صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على هدايتهم فأمره

١- سورة النحل: (١٢٥).
٢- سورة البقرة: (١٤٦).
٣- سورة آل عمران: (٦٤).

أن يرشدهم بطريق ليس فيه تفضيل احد على احد ، بأن يؤنسهم فيما يدعوهم إليه فيدعو دعاءً يشمل أهل الكتاب – اليهود والنصارى – على حد سواء إلى الكلمة التي قامت البراهين على حقيقتها ونهضت الدلائل على صدقها دعاءً لا اعدل منه على وجه يتضمن نفي ما قد يُتخيل من إرادة التفضيل عليهم ،وذلك أنه بدأ بمباشرة ما دعاهم إليه ورضي لهم ما رضي لنفسه صلى الله عليه وسلم ، وما اجتمعت عليه الكتب واتفقت عليه الرسل[١] .

إذ قال سيد قطب عن هذا الاسلوب الذي فيه التلطف واللين في دعوتهم : وإنها لدعوة منصفة من غير شك، كلمة سواء يقف أمامها الجميع على مستوى واحد، لا يعلو بعضهم على بعض ولا يتعبد بعضهم بعضا دعوة لا يأبها إلا متعنت مفسد لا يريد أن يفيء إلى الحق القويم إنها دعوة إلى عبادة الله وحده لا يشركون به شيئاً ، لا بشراً ولا حجراً ودعوة إلى إلا يتخذ بعضهم بعضا من دون الله أربابا لا نبيا ولا رسولا فكلهم لله وحده عبيد إنما اصطفاهم الله للتبليغ عنه لا لمشاركته في الإلوهية والربوبية[٢]

فقوله سبحانه وتعالى﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يعني نصارى نجران لأن الآية من تمام قصتهم ، وكان في بداية السورة الرد على الشبهات التي أثاروها – بشأن مريم وعيسى عليهما السلام– بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة ، وقيل المراد اليهود والنصارى جميعا لان ظاهر اللفظ يتناولهما.

---

[١]- ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: ١٠٩/٢ .
[٢]- ينظر في ظلال القرآن: ٦٠٠/١-٦٠١.

ولما روي أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما نريد إلا أن نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ، وقالت النصارى : يا محمد ما نريد إلا أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فأنزل الله هذه الآية[١].

وقوله ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾إشارة إلى ما عندهم من العلم ، فهو خطاب منصف لأنه خاطبهم بما يطيب به قلوبهم كما يقال : لحافظ القرآن : يا حافظ كتاب الله[٢].

الحكمة في هذا الخطاب هو أنه سبحانه جذب أسماعهم وأنظارهم حين خاطبهم بأسلوب الرفق واللين ونسب إليهم العلم وهيئ أنفسهم لتلقي الأمر والنهي قبل توجيهه إليهم ورتب لهم الأمر بحيث دعاهم إلى إثبات أصول الدين وما هو معلوم بالضرورة وهي العقيدة أولا، ولم يشغلهم بالفرعيات التي قد تشتت الخطاب.

وقوله :﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾

أي هلموا إلى كلمة سواء، فيها إنصاف من بعضنا لبعض لا ميل فيه لأحد على صاحبه و السواء هو العدل والإنصاف لان حقيقة الإنصاف إعطاء النصف ، وفيه التسوية بين نفسه وبين صاحبه وهو عبارة عن العدل[٣] و ﴿سَوَآءِۭ ﴾مصدر أي مستوية لا يختلف فيها القران ولا التوراة ولا الإنجيل[٤].

ثم فسر الكلمة بقوله ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾أي أن نفرد الله بالعبادة ، لأنه الحائز لصفات الكمال ﴿وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾أي لا نعتقد له شريكا وان كنا لا نعبده﴿وَلَا

[١]-ينظر تفسير غرائب البيان ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوريّ: ١٨٠/٢ و صفوة التفاسير، الشيخ محمد علي الصابوني : ٣/٢ .
[٢]-ينظر تفسير غرائب القرآن : ١٨٠/٢، ونظم الدرر : ١٠٩/٢ .
[٣]-ينظر مفاتيح الغيب :٧٦/٨
[٤]-ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود أبو الفضل الألوسي: ١٩٣/٣.

يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾أي لا نتخذهم أربابا فنعتقد فيهم الإلوهية ونعبدهم على ذلك ولا نطيع الأساقفة والرؤساء فيما يأمرونا من الكفر والتحليل والتحريم والمعاصي ونجعل طاعتهم شرعاً[١]، وروي في نظير هذه الآية عن عدي ابن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال: يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك فطرحته فانتهيت اليه وهو يقرأ سورة براءة فقرأ هذه الآية:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[٢] حتى فرغ منها فقلت انا لسنا نعبدهم فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حر ما لله فتستحلونه؟ قلت: بلى قال: فتلك عبادتهم[٣].

فالآية ذكرت أموراً ثلاثة لأنها قد جمعت عند النصارى فعبدوا غير الله وهو المسيح وأشركوا به غيره بالتثليث، ثم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا لأنهم أطاعوهم بالتحليل والتحريم من تلقاء أنفسهم من غير شريعة وبيان[٤].

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾عن التوحيد ﴿ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ إي لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا أو تسلموا بانا مسلمون دونكم فيجوز أن يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره[٥].

رسم القرآن الكريم من خلال هذه الآية أروع الأساليب الحكيمة في دعوة أهل الكتاب للدخول في هذا الدين الحنيف إذ خاطبهم بالرفق واللين بما يفهمون وبما تستسيغه

---

[١]-ينظر نظم الدرر : ١٠٩/٢ ، وتفسير البحر المحيط:٤٨١/٢.
[٢]-سورة التوبة: (٣١).
[٣]-المعجم الكبير،سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني: ٩٢/١٧.
[٤]-ينظر تفسير غرائب القرآن :١٨٠/٢ .
[٥]-ينظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله محمود ابن عمر الزمخشري : ٣٩٨/١ .

عقولهم حيث رتب ما دعاهم إليه وما أمرهم به ووضع كل شيء في موضعه وفي أوانه وفي مرتبته وطالبهم بما جاءت به الشرائع قبل القرآن ودعا إليه الأنبياء قبل النبي العدنان وها قد انتهجها النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته وكان يذكرها في كتبه للملوك حيث روي في كتابه إلى هرقل عظيم الروم ما نصه : ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّى أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ وَ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1]

ومن الآيات التي تدل على أن أيمان أهل الكتاب هو خير لهم من الكفر، والتي فيها الخطاب الذي يدل على دعوتهم باللطف واللين قوله تعالى:﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[2] ونظير هذه الآيات التي فيها الترغيب قوله تعالى:﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾[3]

ثانياً : مدح وثناء من أقبل على الحق، وآمن برسالة النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[1]- الجامع الصحيح المعروف بصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري: ٣/ ١٣٩٣ رقمه (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام. سورة آل عمران: (٦٤).
[2]-سورة آل عمران: (١١٠).
[3]-سورة آل عمران: (٢٠).

تمثل هذا المنهج في قوله:﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾[1].

أثنى الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة على من آمن به ووحده وأطاع رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن بين الذين أثنى عليهم ومدحهم بصفات اتصفوا بها هم المؤمنون من أهل الكتاب الذين اقبلوا على الحق ثابتين عليه ملازمين له غير مضطربين في التمسك به حيث أنصفهم بعدما ذكر الصفات السيئة عند الكافرين منهم فقال:﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[2] فاخبر سبحانه أن أهل الكتاب ليسوا كلهم على حد سواء بل منهم المؤمن ومنهم الكافر وهذا أيضا أسلوب من أساليب الترغيب ونوع من المرغبات للذين اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم واستجابوا لدعوته إذ أثنى عليهم وطمأن قلوبهم بألطف بيان وابلغ كلام.

ووصف سيد قطب هذه الصورة فقال: ((هذه صورة وضيئة للمؤمنين من أهل الكتاب ، فقد آمنوا إيماناً صادقاً وعميقاً وكاملاً وشاملاً،وانضموا للصف المسلم، وقاموا على حراسة هذا الدين ، وامنوا بالله واليوم الآخر وقد نهضوا بتكاليف الإيمان، وحققوا سمة الأمة المسلمة التي انضموا إليها – خير أمة أخرجت للناس – فأمروا بالمعروف

[1] -سورة آل عمران: (١١٣- ١١٥).
[2] -سورة آل عمران: (١١٢).

ونهوا عن المنكر، وقد رغبت نفوسهم في الخيرات جملة، فجعلوه الهدف الذي يسابقون فيه، فسارعوا في الخيرات وثم هذه الشهادة العلوية لهم أنهم من الصالحين، وهذا الوعد الصادق لهم أنهم لن يبخسوا حقاً، ولن يكفروا أجراً، مع الإشارة إلى أن الله سبحانه علم أنهم من المتقين وهي صورة تُرفع أمام الراغبين في هذه الشهادة وفي هذا الوعد ليحققها في ذات نفسه كل من يشتاق إلى نورها الوضيء في افقها المنير))[1].

فقوله :﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ ﴾ أي ليس أهل الكتاب مستوين ، إذا الوقف على (سواء) تام والمعنى أنهم منقسمون إلى مؤمن وكافر ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾كلام مستأنف لبيان معنى قوله (ليسوا سواء) كما وقع قبلها في قوله :﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ بياناً لقوله:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[2]فهذا كالتفصيل لما سبق[3].

واختلف أهل التفسير في معنى﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾على أقوال :

أنهم كل من أوتي الكتاب من أهل الأديان ، فعلى هذا يكون المسلمون منهم فقد قال تعالى :﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴾[4]وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أخّر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة صلاة العشاء ثم خرج إلى الناس ينتظرون الصلاة فقال : انه ليس من أهل الأديان احد يذكر الله في هذه الساعة غيركم وقرأ الآية.

---

[1]-في ظلال القران : ٣٨/٢ .
[2]-سورة آل عمران: (١١٠).
[3]-ينظر الكشاف : ١/ ٤٥٦ ، و الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، شهاب الدين بن يوسف بن محمد المعروف بالسمين الحلبي: ١٨٩/٢.
[4]-سورةفاطر: (٣٢).

أما الذي عليه الجمهور فهو : أن المقصود به اليهود والنصارى ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عُبيد، ومن أسلم من يهود معهم، فآمنوا وصدَّقوا ورغبوا في الإسلام، ورسخوا فيه، قالت: أحبار يهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا! ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم، وذهبوا إلى غيره فأنزلت،وعن عطاء أنها أنزلت في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة ، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم[١] .

ثم مدح هذه الأمة بثماني صفات : الأولى أنها﴿ قَآئِمَةٌ ﴾ ((أي مستقيمة على ما أتاها به نبيها في الثبات على ما شرعه ، متهيئة بالقيام للانتقال عنه عند مجيء الناسخ الذي بشر به ووصفه، غير زائغة بالإيمان ببعضه والكفر ببعضه))[٢].

الصفة الثانية:﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾أي يتلون القرآن في تهجدهم في ساعات الليل مع السجود لأنه أبين لما يفعلون وأدل على حسن صورة أمرهم[٣].

الصفة الثالثة : ﴿ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾حال من (يتلون) أي يتهجدون في الليل بتلاوة كتابهم ، وهو قد يكون جائزا في شريعتهم التلاوة في السجود ، دون شريعتنا لان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((أَلاَ وَإِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ القرآن رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا))[٤] فقيّدت تلاوتهم الكتاب بحالة السجود وهذا الأسلوب ابلغ وأبين من أن يقال : يتهجدون لأنه يدل على صورة فعلهم[٥].

الصفة الرابعة :﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾أي يؤمنون بالله وكتبه ورسله وأساس ذلك الإيمان بما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما خص اليوم

---

[١]-ينظر جامع البيان: ١٢٠/٧ ، ومفاتيح الغيب : ٣٠٨/٨ ، وتفسير غرائب القرآن : ٢٣٩/٢.
[٢]-نظم الدرر :١٣٨/٢ .
[٣]-ينظر الكشاف : ٤٥٦/١.
[٤]-صحيح مسلم :٣٤٨/١ رقمه(٤٧٩) كتاب الصلاة، باب النهى عن قراءة الْقُرْآنِ فِى الركوعِ والسجود.
[٥]-ينظر التحرير والتنوير : ٥٨/٤.

الأخر بالذكر دلالة على إظهار مخالفتهم لسائر اليهود لأنهم أيضا يدّعون الإيمان بالله واليوم الأخر ولكن يدعون أن عزيراً ابن الله وكفرهم ببعض الكتاب ، ويصفون اليوم الأخر انه لهم ويعذبون فيه أياما معدودة ثم يدخلون الجنة ، حيث اخبر بذلك القرآن الكريم :﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠ ﴾[1].

الصفتان الخامسة والسادسة : ﴿ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾وهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إنما يتصفون بالصفات التي أوردها الله صفة لخير امة أخرجت للناس وهي امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلقد دخل هذا الفريق من أهل الكتاب بثقلهم – ومن أول مرة – في مقام الإحسان ، وما داموا قد دخلوا في مقام الإحسان فهم بحق كانوا مستشرفين ومترقبين لظهور النبي الجديد ، وبمجرد أن جاء النبي الجديد تلقفوا الخيط وامنوا برسالته وصاروا خير أمة أخرجت للناس.

الصفة السابعة : ﴿ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾أي كلما لمحت لهم بارقة إلى فعل الخير فهم يسارعون إليها أي أنهم يتقدمون فيما ينبغي التقدم فيه[2].

الصفة الثامنة : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾أي أولئك الذين هذه صفاتهم من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم ، وهذا الوصف هو غاية المدح ، ويدل عليه القرآن الكريم لأنه مدح بهذه الصفة أكابر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقال بعد ذكر زكريا ويحيى وعيسى وإلياس عليهم السلام : ﴿ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[3] وقال بعد ذكر إسماعيل وإدريس وذي الكفل وغيرهم عليهم السلام ﴿ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٦ ﴾[4] وذكر عن سليمان عليه

---

[1]-سورة البقرة: (٨٠).
[2]- ينظر تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي: ١٧٠١/٣.
[3]-سورة الأنعام: (٨٥).
[4]-سورة الأنبياء: (٨٦).

السلام انه قال :﴿ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[1] والآيات في ذلك كثيرة ، ثم إنه تعالى لما ذكر هذه الصفات الثمانية قال :﴿ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴾أي لن يضيع لهم ما يعملون ، والمقصود أن جهّال اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام ومن اسلم معه إنكم خسرتم بسبب هذا الإيمان قال تعالى بل فازوا بالدرجات العظمى فكان المقصود تعظيمهم ليزول من قلوبهم اثر كلام أولئك الجهال[2].

هذه الصفات من أروع ما وصف به القرآن الكريم مؤمني أهل الكتاب إذ مدحهم وأثنى عليهم وفرق بين صالحيهم وطالحيهم وبيَّن كذلك أن كل من يريد ويرغب في أن يكون تحت هذه الشهادة الربانية وان يمدح هذا المدح من الله عز وجل فعليه بالمسارعة إلى الإيمان بالله واستجابة دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم التي بشر بها أنبيائهم واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم سواء كان من أهل الكتاب أم من غيرهم .

والحكمة من هذا الأسلوب أن كفار أهل الكتاب حين يستمعون لهذا المدح من الله عز وجل لهؤلاء الجماعة المسلمة التي اتبعت الحق وهم يعلمون انه الحق، وكيف وصفهم بأنهم صالحون، تتحرك فيهم الرغبة بان يكونوا من هذا الصنف ويدخلوا في للاسلام.

---

[1] -سورة النمل: (١٩).

[2] - ينظر مفاتيح الغيب : ٣٠٨/٨ .

المبحث الثالث : أسلوب الترهيب

لم يكتف القرآن الكريم باتباع وسائل الترغيب واللين واللطف وغيرها مما سبق في دعوته لأهل الكتاب للدخول في الإسلام، فنجد هنا انه خاطبهم بأسلوب فيه الترهيب التبكيت والتقريع[1] و عليهم وفيه الإنكار والتنبيه لهم، وفيه كشف ما يكيدون ويلبسون على المسلمين وذلك ليصرفهم عن الكفر ويحملهم على الإيمان ويرشدهم للحق والطاعة والإحسان فمن هذه الوسائل:

أولاً : التهديد بإخبارهم أن اختلافهم في الدين وعدم الانصياع للإسلام سببه البغي والحسد.

قوله تعالى :﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾[2].

بين الله سبحانه وتعالى لخلقه بالدلائل القاطعة والآيات المعجزة الباهرة انه هو المعبود بحق، وانه لاشريك له، وبذلك قد شهد وأقرت الملائكة وألوا العلم انه لا اله إلاّ هو، فالآية الأولى تستهدف إقرار حقيقة العقيدة الإسلامية من جهة، وجلاء

---

[1]-التبكيت: هو التقريع والتوبيخ والغلبة بالحجة. ينظر تاج العروس:٤/٤٧٤،والتقريع:((التعنيف)).مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي:١/٥٦٠.

[2]-سورة آل عمران: (١٨-١٩).

الشبهات التي يلقيها أهل الكتاب من جهة، إذ ذكر فيها توحيد الإلوهية وهي الحقيقة التي بدأت بها السورة بقوله :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣﴾[1]

وهذا تأكيد وتناسب لما افتتحت به السورة ونوع من رد العجز على الصدر، وفيها تعريض للمشركين وخاصة أهل الكتاب إذ أن أهل الكتاب كانوا يؤمنون بالله ولكنهم في نفس الوقت يجعلون له ابناً وشريكاً، بل إن المشركين كانوا يؤمنون بالله ولكن الضلال كان يجيئهم من ناحية الشركاء والأنداد والأبناء والبنات، فإذا قُرِرَ لهؤلاء وهؤلاء أن الله سبحانه شهد بأنه لا اله إلاّ هو، فهو مؤثر قوي في تصحيح تصوراتهم، ويستلزم من هذا أن لا يقبل من العباد إلاّ العبودية الخالصة المتمثلة في الإسلام بمعنى الاستسلام[2]وهو معنى قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ الآية.

فقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ ﴾الآية إنما هي جملة مستأنفة مؤكدة لما قبلها، وهي حين قال: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾قصد بها التوحيد وحين قال ﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾أراد العدل، فعندها أردفه بقوله﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾فقد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين، وفيه أن من ذهب إلى تشبيه وتشريك لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام[3].

---

[1]-سورة آل عمران: (٢ - ٣).
[2]-ينظر في ظلال القران : ٥٥٦/١ ، و التحرير والتنوير: ١٨٦/٣ .
[3]-ينظر الكشاف : ٤١٨/١.

قولـه﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾أصـل الـدين فـي اللغـة هـو الحسـابُ والجـزاء والطاعة والإسلام وغيرها من المعاني اللغوية[١]، ثم صار حقيقة عرفية أطلق من خلالها على مجموعة عقائد وأعمال يلقنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله وأوعد العاملين بها بالنعيم والمعرضين عنها بالعقاب[٢].

أما الإسلام فهو في اللغة: الانقياد والدخول في السلم أو في السلامة أو في إخلاص العبادة لله، وأما في عرف الشرع: فيطلق تارة على الإقرار باللسان في الظاهر ومنه قولـه تعـالى:﴿ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾[٣]ويطلـق تـارة أخرى على الانقياد الكلي وهو المراد هنا[٤].

فالإسلام ليس مجرد دعوى وليس مجرد راية وليس مجرد كلمة تقال باللسان، ولا شعائر فردية يؤديها الأفراد في الصلاة والحج والصيام، لا، فهذا ليس بالإسلام الذي لا يرضى الله من الناس دينا سواه، إنما الإسلام: هو الاستسلام،والإسلام: الطاعة والإتباع والإسلام: تحكيم كتاب الله في أمور العبادة،والإسلام: توحيد الإلوهية بينما كان أهل الكتاب يخلطون بين ذات الله سبحانه وذات المسيح عليه السلام، ويخلطون بين إرادة الله وإرادة المسيح أيضا ويختلفون فيما بينهم على هذه التصورات اختلافاً يصل في أحيان كثيرة إلى حد القتل والقتال، وهنا بين الله عز وجل للأمة المسلمة ولأهل الكتاب علة هذا الاختلاف بقوله:﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ ﴾فالغرض من هذه الآية أن الله تبارك وتعالى أوضح

---

[١]- ينظر لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري:١٣/ ١٦٤.
[٢]-ينظر التحرير والتنوير : ٣/ ١٨٨
[٣]-سورة الحجرات: (١٤).
[٤]-ينظر مفاتيح الغيب ١٨١/٧ ، و غرائب القران :١٢٨/٢.

الدلائل وأزال الشبهات وبين أن القوم ما كفروا عن جهل بحقيقة الأمر وإنما بغياً وحسداً[١].

وقد اختلف المفسرون بالمراد من أهل الكتاب ونوع اختلافهم : فقال الزمخشري: أهل الكتاب من اليهود والنصارى، واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد والعدل وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حسداً منهم وطلباً للرئاسة وحظوظ الدنيا فثلث النصارى، وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا أحق بان تكون النبوة فينا من قريش لأنهم أميون ونحن أهل الكتاب[٢].

أو المراد بهم اليهود واختلافهم أن موسى عليه السلام لما قربت وفاته سلم التوراة إلى سبعين حبراً وجعلهم أمناء عليها، واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين من بعد ما جاءهم العلم في التوراة[٣].

أو المراد النصارى واختلافهم في عيسى عليه السلام بعد ما جاءهم العلم بأنه عبد الله ورسوله[٤].

والظاهر من هذا ما ذهب إليه أبو حيان الأندلسي من ((أن اللفظ عام في﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾وان المختلف فيه هو الإسلام لأنه تعالى قرر أن الدين هو الإسلام ثم قال:﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾أي في الإسلام حتى تتكبوه إلى غيره من الأديان﴿ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ ﴾الذي هو سبب لاتباع الإسلام والاتفاق على اعتقاده، والعمل به لكن عموا عن طريق العلم وسلوكه بالبغي الواقع

---

[١]-ينظر في ظلال القران :٥٥٩/١.
[٢]-الكشاف : ٤١٩/١.
[٣]-ينظر مفاتيح الغيب :١٨٢/٧.
[٤]-ينظر تفسير غرائب القران :١٢٩/٢.

بينهم من الحسد والاستئثار بالرياسة وذهاب كل منهم مذهبا يخالف الإسلام حتى يصير رأسا يتبع فيه فكانوا ممن ضل عن علم))[١].

ومن ثم ختمت الآية بالتهديد الشديد والوعيد المخيف لكل كافر بآيات الله فقال :﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾وهذا التهديد له معنيين : الأول : انه سيصير إلى الله تعالى سريعا فيحاسبه أي يجزيه على كفره ، والثاني : أن الله سيعلمه بأعماله ومعاصيه وجميع كفره بإحصاء سريع مع كثرة الأعمال[٢].

وهذا الأسلوب فيه الترهيب إذ بين انه لا دين يرضاه الله إلاّ الإسلام الذي بعث به الأنبياء من قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر عدم دخول اليهود والنصارى في هذا الدين، وذلك بسبب البغي والحسد وليس لأجل سبب عندهم، ثم هددهم وأنذرهم بالحساب السريع إن هم كفروا بهذا الدين،وهو وسيلة من وسائل الدعوة إذ يريد بالتهديد صرفهم عن الكفر بآياته، وحضهم على المسارعة بالاستسلام لله تعالى.

ثانياً: كشف تلبيسهم على المسلمين، وإظهار عنادهم بعدم الإيمان وتقريعهم لذلك .

قوله تعالى :﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[٣].

بدأت الآية بنداء لأهل الكتاب وذلك كالمعلل لتبكيتهم لان الزلة من العالم أشنع ، فأهل الكتاب لما علموا ما عليه العرب من محبتهم لأبيهم إبراهيم عليه السلام، وان

---

[١]-البحر المحيط : ٤١١/٢ .
[٢]-ينظر مفاتيح الغيب :١٨٢/٧.
[٣]-سورة آل عمران: (٦٥).

محمداً صلى الله عليه وسلم أتى بدينه وعلى ملته، اجتمع ملأ منهم بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وضلل كل منهم الآخر وادعى كل منهم قصداً لاجتذاب المسلمين إلى الضلال الذي هم فيه بكيدهم وخبثهم فادعوا اتباع إبراهيم عليه السلام، وانه كان على دينهم فادعت اليهود أنه على دينهم وادعت النصارى انه على دينهم، فاسقط القرآن الكريم ما يدلون به من حجج تخالف المنطق والعقل السليم، ولم يكن لذلك ذكر في كتابهم مع أن العقل يرده بأدنى التفات، لان دين كل منهم انما قرر بكتاب ، وكتابهم إنما نزل على نبيهم، ونبيهم إنما كان بعد إبراهيم بدهور متطاولة، ولا يعقل أن يكون المتقدم على دين ما حدث إلاّ بعده وعلى نسبة متأخرة عنه وكان دينه عليه الصلاة والسلام الإسلام[1].

ويستمر الخطاب في التنديد بهم ودحض ما يحتجون به وكشف عنادهم وقلة علمهم وعقولهم، فيقول :﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ ﴾

يعني انتم هؤلاء الأشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم حاججتم﴿ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ ﴾ مما نطق به التوراة والإنجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم﴿ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ ﴾ ولا ذكر في كتابكم من دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ﴾ما حاججتم فيه ﴿ وَأَنتُمۡ ﴾جاهلون به[2].

---

[1]-ينظر نظم الدرر : ١١٠/٢.
[2]-ينظر الكشاف : ٤٣٥/١ -٤٣٦

فإذن أقامت هذه الآية الحجة عليهم وبينت أنهم على علم بهذا النبي ونعته يقيناً، عن طريق علمهم بكتابهم فالواجب عليهم أن يصدقوه ويتبعوه وإلاّ كانوا كالحمار يحمل أسفارا.

ثم بين مفصلاً ما كان عليه إبراهيم عليه السلام من الدين واخبرهم انه لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولكنه كان على الحنيفية السمحاء فقال في ذلك :﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1]وبعد أن نفي عنه كل زيغ قرر من هو الأولى به فقال: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[2]

فالأولى إنما هو من اتبعه في أصل الدين وهو التوحيد والتنزيه الذي لم يختلف فيه نبيان قط، فأحقهم به وأقربهم منه الذين اتبعوه في دينه من أمته وغيرهم ، ثم صرح بهذه الأمة فقال ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾أي هو أولى الناس به ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾أي من أمته وغيرهم ولو كانوا في أدنى درجات الإيمان[3].

ثم ذكر سبب جدالهم وحجاجهم وما وراءه من نوايا خبيثة، وكشف ما يكن أهل الكتاب للمسلمين وهو يفضحهم ويواجههم ويبين ما ترغب فيه نفوسهم وتهفوا إليه أفئدتهم وما يجتهدون فيه لإضلال المؤمنين، ولكن الله جعل هذا الإضلال راجعاً

---

[1]-سورة آل عمران: (٦٧).
[2]-سورة آل عمران: (٦٨).
[3]-ينظر نظم الدرر : ١١٢/٢.

إليهم فيضاعف لهم العذاب بالضلال والإضلال فقال في ذلك :﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1].

ولما كشف عن نوع من إضلالهم للمؤمنين بدأ بالتقريع والتوبيخ لأهل الكتابين على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحودهم نبوته، وهم يجدونه في كتبهم مع شهادتهم أن ما في كتبهم حق وانه من عند الله[2]فقال في ذلك:

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[3].

وفي هذا النداء إشارة إلى ما عندهم من علم كان يقتضي منهم أن يسارعوا إلى الإيمان لا أن يكفروا بآيات الله الدالة على صدق نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم وجه إليهم نداءً آخر ينهاهم فيه عن الخلط بين الحق والباطل، وعن كتمان الحق بعد أن نهاهم قبله عن الكفر فقال :﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[4].ونظير هذه الآيات قوله :﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[5].

أي يا معشر يهود بني إسرائيل وغيرهم من سائر من ينتحلا لديانة بما أنزل الله عزو جل من كتبه، ممن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، وجحد نبوته، لم تجحدون بآيات الله؟ يقول: لم تجحدون حجج الله التي آتاها محمداً في كتبكم وغيرها، التي قد

---

[1]-سورة آل عمران: (٦٩).
[2]-ينظر جامع: ٥٠٢/٦.
[3]-سورة آل عمران: (٧٠).
[4]-سورة آل عمران: (٧١).
[5]-سورة آل عمران: (٩٨ - ٩٩).

ثبتت عليكم بصدقه ونبوته وحجته، وأنتم تعلمون، فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم متعمدون الكفر بالله وبرسوله،على علم منهم ومعرفة من كفرهم[١].

وفي تكرير النداء والاستفهام زيادة في توبيخهم ولإنكار ما هم عليه، والتعجب من شأنهم ذلك لأنهم جمعوا أفحش أنواع الرذائل التي على رأسها كفرهم بآيات الله وخلطهم الحق بالباطل وكتمانهم الحق عمن يريده، وهم من ذوي العلم ولا يناسب من كان كذلك أن يفعل هذه الأمور، وبعد هذا النداءات المتكرر لأهل الكتاب والحجج الباهرة التي ساقها لهم على صحة هذا الدين والتوبيخات المتعددة التي وبخهم بها لانصرافهم عن الحق ومحاولة صرف غيرهم عنه، أخذ القرآن في سرد عدد من المسالك الخبيثة واللئيمة التي سلكوها في الكيد للإسلام والمسلمين، وهو أن فريقاً منهم يظهر الإيمان مدة من الوقت ثم يرجع إلى الكفر ليوهم ضعفاء العقول انه ما رجع عن الإسلام إلا بعد أن دخله فوجده دينا ليس بشيء في زعمه[٢]وقد صور القران هذا المشهد بقوله :﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[٣].

والحكمة من هذا الأسلوب هو مخاطبتهم بأخف الأساليب، بعد أن كان قد كشف تلبيسهم على المسلمين وأظهر عنادهم على عدم الإيمان، أراد أن يؤنسهم ويقربهم

---

[١]-ينظر جامع البيان:٥٢/٦.
[٢]-ينظر التفسير الوسيط: ٦٤٠.
[٣]-سورة آل عمران:(٧٢ - ٧٤).

منه، حيث كرر نداءهم بوصفهم من ذوي العلم بالكتاب، ويشعرهم أن هدفه هو ليس أن يغلبهم فحسب بل هو أقناعهم وإيصالهم إلى الحق.

ثالثاً:التهديد بالخسران يوم القيامة لكل من لا يتخذ الإسلام دينا.

وفي ظل هذه الحقائق التي سردها القرآن الكريم التي في بعضها كشف لمراءهم وحجهم الباطلة، ومنها كشف لتلبيسهم على المسلمين، فيعرض من خلالها نموذج المضللين الذين يلوون ألسنتهم بكتاب الله ويجعلونه طريقة بالتضليل، ومنها التذكير بالعهد والميثاق الذي أخذه الله على أنبيائهم بالإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبعد سرد هذه الحقائق وغيرها يأتي التهديد من الله عز وجل والتنديد لكل من يتخذ غير الإسلام دينا، لأنه لا يقبل سبحانه من البشر غير هذا الدين الذي هو الاستسلام لله تعالى بقوله :﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1].

أي انه سبحانه بين أن الذي يتخذ دينا غير الإسلام الذي قرره في الآيات السابقة وهو توحيد الله وإخلاص العبودية له عز وجل، فكما أن الله لايقبله، فكذلك يكون من الخاسرين، والخسران في الآخرة يكون بحرمان الثواب، وحصول العقاب ويدخل فيه ما يلحقه من التأسف والتحسر على ما فاته في الدنيا من العمل الصالح وعلى ما تحمله من التعب والمشقة في الدنيا في تقريره ذلك الدين الباطل[2].

وقبل هذه الآية أخذ تعالى يقيم الحجة على أهل الكتاب وغيرهم ممن أنكر نبوّة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ودينه، فذكر أخذ الميثاق على أنبيائهم بالإيمان برسول

---

[1]-سورة آل عمران: (٨٥).
[2]-ينظر مفاتيح الغيب : ١١٠/٨.

الله صلى الله عليه وسلّم، والتصديق له، والقيام بنصرته، وإقرارهم بذلك وشهادتهم على أنفسهم، وشهادته تعالى عليهم بذلك، وهذا العهد مذكور في كتبهم وشاهد بذلك أنبياؤهم[1] فقال في ذلك:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[2] ثم انه تعالى أكد مرة أخرى وأوعد من يعرض عن الإيمان بهذا الرسول بعد ما تقدم من الدلائل كان من الفاسقين، لان الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شرع شرعه الله وأوجبه على جميع من مضى من الأنبياء والأمم[3] فقال في ذلك :﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[4].

---

[1]-تفسير البحر المحيط: ٢/ ٥٠٨.
[2]-سورة آل عمران: (٨١).
[3]-ينظر مفاتيح الغيب : ٨/ ٢٥٥.
[4]-سورة آل عمران: (٨٢-٨٣).

خاتمة

لقد وضع القرآن الكريم المنهج الدعوي القويم للدعوة اليه تعالى والى سبيله، وارشد المسلم الى وسائل تعينه لأداء مهمته وتبليغ رسالة ربه ، فقد رسم معالم هذا المهج من خلال مخاطبته للناس كافة ولأهل الكتاب خاصه ودعوتهم للدخول في الاسلام ، فقد سلك في دعوته لهم كل وسيلة كان من شأنها ان تقنعهم وتحملهم للمبادرة للدخول في الاسلام فلاحظت هذه الدراسة ان القران قد اتخذ معهم وسائل الترغيب والرهيب فخاطبهم بالرفق واللين كي يهيئ نفوسهم ويوجه قلوبهم الى اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم استخدم وسيلة اخرى فيها ترغيب لهم للدخول في هذا الدين وهي الثناء على من اقبل على الحق ودخل في الاسلام اذ وصفهم بأروع الصفات وهذا انما هو تشجيعاً لمن ءامن بالازدياد ولمن لم يؤمن بالإيمان ولم يكتف القران باتباع وسائل الترغيب بل اتبع وسائل كان من شانها ان تنبههم وتنكر عليهم بالترهيب وذلك من خلال ادحاض دعواهم وتساؤلاتهم بالأدلة القاطعة والباهين الثابتة لأجل صرفهم عن الكفر وحملهم على الايمان به سبحانه.

المصادر والمراجع

١-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)(دار الفكر بيروت – لبنان١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م د. ط).

٢-بنو إسرائيل في القران والسنة ، الدكتور محمد سيد طنطاوي(دار الشروق –القاهرة– الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م).

٣-تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ،أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى١٢٠٥هـ) تحقيق مجموعة من المحققين (دار الهداية د.ط، د.ت).

٤-تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ).

٥-التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (دار سحنون تونس ،١٩٩٧م د.ط).

٦-تفسير البحر المحيط العلامة، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفى ٧٤٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض و د. زكريا عبد

المجيد النوقي و د.أحمد النجولي الجمل (دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة : الأولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م).

٧-تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (الأزهر–القاهرة–١٩٩١م د.ط ،د.ت).

٨-تفسير غرائب البيان ورغائب الفرقان، العلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمّي النيسابوريّ (المتوفى ٧٢٨هـ) (دار الكتب العلمية –بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م).

٩-تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى٧٧٤ هـ) تحقيق : سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م).

١٠-تفسير النسفى، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعار (دار النفائس . بيروت ٢٠٠٥م د.ط)

١١-التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي ، الشاملة الإصدار الخامس .http://www.shamela.ws

١٢-التنبيه والإشراف، للعلامة المؤرخ أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (المتوفى ٣٤٥هـ) (مكتبة المثنى – بغداد – ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م د.ط).

١٣-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (المتوفى٣١٠ هـ) تحقيق : أحمد محمد شاكر (مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى١٤٢٠هـ٢٠٠٠م).

١٤-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق : د.

مصطفى ديب البغا (دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م).

١٥-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، الإمام أبو العباس شهاب الدين بن يوسف بن محمد المعروف بالسمين الحلبي(المتوفى ٧٥٦هـ) تحقيق الشيخ محمد معوض والشيخ عادل احمد ود. جاد مخلوف جاد ود. زكريا عبد المجيد (دار الكتب العلمية– بيروت–الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م).

١٦-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل (دار إحياء التراث العربي – بيروت د.ط ، د.ت).

١٧-الزاهر فى معانى كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن (مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة : الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م).

١٨-شرح فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي (المتوفى ٦٨١هـ) (دار الفكر – بيروت – د. ط، د. ت).

١٩-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى٣٩٣هـ) تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار(دار العلم للملايين – بيروت– الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م).

٢٠-صفوة التفاسير، الشيخ محمد علي الصابوني (دار القرآن الكريم – بيروت – الطبعة : الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م).

٢١-العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق : د. مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي (دار ومكتبة الهلال د.ط ، د.ت).

٢٢-في ظلال القرآن (دار إحياء التراث العربي –بيروت – الطبعة : السابعة ١٣٩١هـ١٩٧١م).

٢٣-القاموس الفقهي، د. سعدي أبو جيب (دار الفكر-دمشق- الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م).

٢٤-القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (دار الجيل – بيروت لبنان – د. ط ، د.ت).

٢٥-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للإمام أبي القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري المتوفى ٥٣٨هـ (انتشارات آفتان – تهران – د.ط ، د. ت).

٢٦-الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق : الإمام أبي محمد ابن عاشور (دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – الطبعة : الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م).

٢٧-اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة : الأولى ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م).

٢٨-لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (دار صادر – بيروت – الطبعة : الأولى د.ت).

٢٩-لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق : دائرة المعرف النظامية، الهند (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م).

٣٠-المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد، أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني (المتوفى٣٨٥هـ) تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين، (عالم الكتب -بيروت- الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م).

٣١-مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق : محمود خاطر (مكتبة لبنان ناشرون،بيروت١٤١٥هـ- ١٩٩٥م د.ط)

٣٢-مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه، عني بنشره : ج. برجستراسر (دار الهجرة، د.ط، د.ت).

٣٣-مشاهير علماء الأمصار، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق : م. فلايشهمر (دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٥٩م د.ط).

٣٤-معالم التنزيل، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(المتوفى ٥١٦ هـ)تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية و سليمان مسلم الحرش (دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م)

٣٥-معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (المتوفى٦٢٦ هـ) (دار الفكر- بيروت- د.ط ، د.ت).

٣٦-معجم مفردات ألفاظ القرآن، للعلامة أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى ٥٠٣هـ) (دار الكتب العلمية – بيروت -١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، د.ط).

٣٧-المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي (دار الحديث القاهرة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١مد.ط).

٣٨-المعجم الوجيز، مجمع اللغه العربية (مجمع اللغه العربية - مصر الطبعة: الأولى ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م).

٣٩-مفاتيح الغيب، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي (الطبعة : الأولى دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م).

٤٠-الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت (دار السلاسل – الكويت– الطبعة: الثانية من ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ).

٤١-موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، د.عبد الوهاب المسيري، المكتبة الشاملة الإصدار الثاني http://www.shamela.ws.

٤٢-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (المتوفى ٨٨٥هـ) (در الكتب العلمية –بيروت– الطبعة : الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م).

٤٣-النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (المتوفى٤٥٠هـ)، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (دار الكتب العلمية – بيروت – د.ط ، د.ت).

Abstract

Holy Quran in calling Christians into Islam through the sura of Aal- Umraan. The paper falls into an introduction and two topics.

The Introduction clarifies the styles that Quran has followed in this mission and the manners of applying these styles . the first topic states the endearing style in following Islam by using gentleness and softness at a time praise and commende tion at another time . While the second topic discusses scaring as another style of calling for Islam by showing the conaequences of chrians' obstinacy and their nonbeing belieuable and refuting the reasons of following Islam.